تضمين الفعل المتعدّي معنى الفعل اللاّزم في القرآن الكريم

أنيسة جيءمأ * ونورا كادير*
*الماجستير في اللغة العربية، محاضرة بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فطاني

الملخص

يهدف هذا المقال إلى دراسة ظاهرة التّضمين في النّحو العربيّ، ويرتكز على تضمين الفعل المتعدّي معنى الفعل اللاّزم في القرآن الكريم، وقد تتبّعتُ في الدّراسة مواضع التّضمين في بعض الآيات القرآنيّة لاستخراج المعاني المختصة بالأفعال المتعدّية عندما تتضمن معاني أفعال لازمة، كما بينتُ أنّ استعمال تلك الأفعال على صورتها الأصلية تعاضده بعض الشّواهد من الأحاديث الشّريفة، واعتمدتُ على المنهج الوصفيّ في كتابة هذا المقال، فوجدتُ أن التّضمين في الفعل يضمن الفعل معنى فعل آخر، ويعمل عمله مع إرادة المعنى المضمن، ويشيع استعماله في القرآن الكريم حتى بات كأنه أصل.

المصطلحات (الكلمات المفاتيح): التضمين، تضمين الفعل المتعدي معنى الفعل اللاز

Implication of Transitive Verbs among the Meaning of Intransitive Verbs in Qur'an as Example

Anisah Chema* & Nurah Carday*

**M.A. in Arabic Language, Lecturers in Department of Arabic Language, Faculty of Liberal Arts and Social Sciences, Fatoni University*

Abstract

This study aims to find out the phenomenon of implication in Arabic syntax, Emphasizing on implication of transitive verbs among the meaning of intransitive verbs. The study has followed implication places in verses of Qur'an, in purpose of extracting meanings related to the transitive verbs when they implicate the meanings of intransitive verbs, as well as presented the using of those verbs in their original feature, via some of evidences form hadith. The researchers relied in this study on descriptive and Analytical methods. As results, the researchers found that the implication of a verb is that the verb guarantees the meaning of another verb and work with the meaning of implication, it is commonly used in Qur'an until it becomes like an original.

Keyword: the Implication, Implication of Transitive Verbs among the Meaning of Intransitive Verbs

المقدمة

لقد حظيت ظاهرة التضمين في اللغة العربيّة باهتمام القدماء من اللغويين، والمفسرين، وعلماء علوم القرآن، وكذلك نالت اهتمام المحدثين، وقد انقسم الباحثون حيالها إلى مذهبين اثنين بين مؤيّد لها وقائل بورودها، وبين منكر لها ورافض لوقوعها. وكلٌ قدّم أدلته لإثبات رأيه وهي مدونة في أمّات الكتب لمن أراد التزود بالمزيد.

وعلى رأي من يقول بجريان "التّضمين" في اللّغة العربيّة، فإنّه يعتبر أحد الظّواهر المهمّة التي تثري أساليب العربيّة وترفع من سقف ذوقها البلاغيّ، وهو بذلك داخل في باب التّوسع حيث استعمال اللّفظ لمعان متعدّدة. وعلى رأي القائلين بالتّضمين، فإنّ القرآن الكريم بحكم نزوله باللّغة العربية الخالدة وبأساليبها الوفيرة، مظنّة لهذه الظّاهرة اللّغوية، بل إنّه حافل بها؛ إذ نلحظ كثيرا أنّ بعضا من الأفعال التي وردت فيه قد تعدّى إلى مفعوله بحرف جرّ وهو متعدّ بنفسه، أو تعدّى بحرف جرّ غير الحرف الذي يتعدّى به في أصل الوضع.

وهذه الملاحظة تدعو إلى العكوف على الآيات القرآنية مظان التضمين، واستنطاق آراء النّحاة واللّغويين حيالها، وما قدّموها من تحليلات وتعليلات لهذه الأفعال التي وردت مضمّنة معاني أفعال أخرى، سواء أكانت متعدّية في وضعها الأصلي، فتضمنت معاني أفعال لازمة؛ أو كانت لازمة في الأساس فأشربت معاني أفعال متعدّية. لكنّ التّركيز في هذا المقال على الصّنف الأوّل على أمل أن يعقبه مقال آخر يُعنى بالصّنف الآخر بإذن الله سبحانه وتعالى.

هذا وقد انتهجتُ في كتابة المقال المنهج الوصفيّ التحليلي، فبدأت بكشف اللّثام عن دلالة المصطلح الذي تنتظم حوله أطراف المقال من حيث معناه اللّغوي، فالاصطلاحي؛ ثم انتقلت إلى تتبع مظان التّضمين في بعض الآيات الكريمة، مع الاستئناس ببعض الأحاديث النّبوية لبيان تطابق تحليلات النّحاة واللّغويين المصوّبة إلى تلك الآيات مع الاستعمال النّبوي القائم على أصل الوضع.

والخاتمة تضمّ بين دفتيها عصارة النّتائج التي توصل إليها المقال عبر هذا التّحليل العلميّ المتواضع بعد تتبّع آراء النّحاة حول مسألة التّضمين في مظانها؛ لأسدل بعد ذلك السّتار على المقال بذكر قائمة المصادر ر والمراجع التي كانت السّند – بعد عون الله سبحانه وتعالى – في إنجاز هذا العمل اليسير. هذا وما كان فيه من الصّواب فبتوفيق الله، وما كان من خطأ فمن تقصير نفسي ومن الشيطان. والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ– التضميـــن في اللغة:

عند الحديث عن التضمين لابد من توضيح المعنى المعجمي لهذا المصطلح النحوي، وكذلك المعنى الاصطلاحي. ومن خلال البحث تبيّن أنّ معناه اللغوي يكشف بوضوح عن معناه الاصطلاحي. فقد ورد لفظ التضمين في المعاجم اللغوية تحت مادة (ضمن).

جاء في الصحاح: "ضمنت الشيء ضماناً: كفلت به، فأنا ضامن وضمينٌ، وضمنتُه الشيءَ تضمينا فتضمنه عني، مثل غرمته. وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه". (الجوهري، 1990: 34)

وجاء في اللسان: "الضمين الكفيل، ضمن الشيء وبه ضمناً كفل به، ضمنه إياه كفله... ضَمن الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر وقد تضمنه هو". (ابن منظور، 1414 ه : 257/13)

أما في القاموس المحيط فقد قال: "ضمن الشيء كعلم، ضماناً وضمناً فهو ضامن وضمين كفله، وضمَّنته الشيء تضمينا عني: عزمته فالتزمته. وما جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه". (الفيروز آبادي،1407ه، مادة ضمن)

فالتضمين كما هو ملاحظ في المعاجم اللغوية، يعني جعل الشيء في باطن شيء آخر، وإيداعه إياه، ويقال: ضمن فلان ماله خزانته، فتضمنته هي، والخزانة مضمن فيها، وهـــي أيضًا متضمنة والمال متضمن.

ب- التضمين في الاصطـــلاح:

أما في الاصطلاح، فيُطلق ويراد به إشراب فعل معنى فعل ليعامل معاملته، ويجري مجراه، أو إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه وللعلماء فيه أقوال، يقول ابن جني: "هو اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدّى به، لأنه في معنى فعل يتعدى به". (ابن جني، 2001م: 306) وقال الاشموني: "والتضمين إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه، لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين". (الأشموني، 1998م :95) وقال عباس حسن : التضمين هو أن يستعمل اللفظ في معناه الأصلي وهو المقصود أصالة لكن قصد تبعية معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل فيه ذلك اللفظ أو يقدّر له لفظ آخر (عباس حسن، د.ت: 564)

فالتضمين هو أن يُتوسع في استعمال لفظ يجعله مؤديا معنى لفظ آخر مناسب له، فيعطي الأول حكم الثاني.

جـــــــ- التّضمين النّحوي:

أوّل من اهتمّ بظاهرة التّضمين عند النّحاة هو سيبويه (180ه) إلاّ أنّه لم يضع لها حدّا خاصّا. وهو أمر طبيعيّ في نشأة العلوم، إلاّ أنّنا نجدها مشتتة في ثنايا (الكتاب)؛ وممّا جاء عنها فيه قوله وإنما صير جاء بمنزلة كان في هذا الحرف، لأنه بمنزلة المثل كما جعلوا (عسى) بمنزلة كان في قولهم " عَسَى الغُوَيرُ أَبْؤُسًا، ولا يقال عَسَيتَ أَخَانا، ومن كلامهم أن يجعلوا الشّيء في موضع على غير حاله في سائر الكلام. (سيبويه، د.ت:51/1). ثمّ نجد ابن جني الذي كان أكثر تحديدا لها، حيث أفرد لها بابا خاصا أسماه " باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض عبر فيه عن مفهوم التّضمين، بقوله " اعلم أنّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف والأخر بآخر، فإنّ العرب قد تتسع، فتُوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه" (ابن جني، 2003 : 92/2)

ه- أنواع التّضمين النّحوي:

يعتري التّضمين أقسام الكلمة من فعل واسم وحرف، فقد يتضمن لفظ منها معنى لفظ آخر فيعطي حكمه في الإعمال والإلغاء. وهذا اللفظ يكون فعلا متضمنا معنى فعل آخر، وتندرج تحته أقسام وقد يكون

اللفظ اسما متضمنا معنى اسم آخر، وقد يأتي اللفظ حرفا متضمنا معنى حرف آخر، وبالمثال يتّضح المقال على النّحو الآتي:

1- تضمين الفعل: يعرّف ابن جني التّضمين في الأفعال فيقول " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرف، والآخر بآخر فإنّ العرب تتوسّع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو معناه. وذلك كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ **الرَّفَثُ إِلَىٰ** نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾ (البقرة، 2: 189) فلا تقول رفثت إلى المرأة وإنما رفثت بها أو معها لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء تعدى أفضى بـ (إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة جئت بـ (إلى) مع الرفث إيذانا وإشعارا أنه بمعناه. (ابن جني، 2003 : 92/2)

2- تضمين الاسم : من المعروف أنّ الاسم قسمان معرب ومبني، فالمعرب أصل والمبني فرع عليه، وعُرفهم أنّ كل ما جاء على أصله لا يسأل عن أصله، وذلك فهم لا يسألون عن سبب إعراب الاسم لأنّ الإعراب أصل فيه، ولكن إذا خرج عن أصله إلى البناء، فلا بدّ من تعليل هذا البناء، والأسماء التي علّل بناؤها على أساس تضمين أي إنها بنيت لعلّة الشّبه بالحرف أو شبه الوضع أو شبه المعنى إلى أسماء استفهام، وأسماء إشارة، وأسماء الشّرط، وغيرها، فهذه الأسماء المبنية خارجة بذلك عن الأصل الذي ينبغي أن يكون في الأسماء، وهو الإعراب فلا بدّ من تعليل سبب بنائها، ويبدو أنّ سبب بنائها هو تضمنها لمعنى حرف الاستفهام وهو الهمزة، وذلك أنّ الهمزة هي أصل حروف الاستفهام قال الأنباري " وأما (أين) و(كيف) فإنما بنيا على الفتح لأنهما تضمنا معنى حرف الاستفهام، وقال ابن يعيش وأما (أين) فظرف من ظروف الأمكنة وهو مبني لتضمنه همزة الاستفهام (أحمد حسن حامد، 47)

3- تضمين الحرف: تناول النّحويون الحروف في اللّغة العربية من عدّة نواح من حيث إعمالها وإهمالها وزيادتها وحذفها وشروطها ومعانيها، ولعل الظّواهر التي تطبع أسلوب الجملة في تركيبها النحوي استعمال حرف بمعنى حرف، ويسمى ذلك التضمين أو الإحلال أو النيابة أو التقارض، وينقسم التضمين في الحرف إلى قسمين، وهما:

- الحروف النّائبة عن الجمل لأجل الاختصار، نقصد بها حروف النفي، والاستفهام والعطف والاستثناء والتمني وما أشبهها، قال ابن جني مفسرا ما نقله أبو علي الفارسي إنما دخلت أي الحروف الكلام لضرب من الاختصار هو أنك إذا قلت (ما قام زيد) فقد أغننت (ما) عن أنفي وهي جملة من فعل وفاعل وإذا قلت: (قام زيد وعمر) فقد ناب الواو عن (أعطف) فيتضح بأن الحروف السابقة قد نابت عن الجمل من قبيل التضمين، بمعنى أنهما تضمنت جملا محذوفة سدت مسدها في السياق.

- الحروف النّائبة عن حروف أخرى اقتضاها الاستعمال، وهي حروف الجر أو حروف الصّفات إذ إنّ هذه الحروف كثيرا ما تبادل المواقع على سبيل التّضمين فمثل الحرف (من) يؤدي معنى واحدا حقيقيا هو (الابتداء)؛ فإن أدّى الحرف معنى آخر غير المعنى الواحد الأصلي الخاص به وجب القول إنّه يؤدي المعنى الآخر الجديد، إما تأدية مجازية أي من طريقة المجاز لا الحقيقة، وإمّا تأدية تضمين أي تضمين الفعل أو الفاعل الذي يتعلّق به حرف الجر. ومن أمثلته على المجاز، الحرف (في) ومعناه الحقيقي الظرفية مثال ذلك (الماء في الكوب)

أما إذا قلنا غرّد الطائر في الغصن فالحرف (في) لم يؤد معناه الحقيقيّ، والمعنى الجديد حينئذ هو الاستعلاء أو الفوقية الذي يختص به الحرف (على). وهكذا فقد أدّى الحرف (في) معنى ليس مع اختصاصه والاختصاص أن نقول غرد الطّائر على الغصن. (عبد الجبار توامة، 1994: 93)

و- موقف النّحاة واللّغويّين والمفسّرين من التّضمين:

لقد حظيت ظاهرة التضمين في اللغة العربيّة باهتمام القدماء من اللغويين، والمفسرين، وعلماء علوم القرآن، وكذلك نالت اهتمام المحدثين، وقد انقسم الباحثون حيالها إلى مذهبين اثنين بين مؤيّد لها وقائل بورودها، وبين منكر لها ورافض لوقوعها. وكلٌ قدّم أدلته لإثبات رأيه وهي مدونة في أمّات الكتب لمن أراد التزود بالمزيد.

فلم يُجمع النّحاة واللّغويّون على إثبات "التّضمين"، وإنّما قال به أقطاب المدرسة البصرية: لخليل وسيبويه ومن سار في فلكهم ممّن جاؤوا بعدهم كابن جنيّ في الخصائص. وأمّا الكوفيّون فهم على نقيض رأي أهل البصرة في هذه المسألة، وانتصر لهم ابن مالك، وجمع من المتأخرين كابن هشام، صاحب مغني اللّبيب؛ حيث أقام الجزء المتعلّق بالحروف في كتابه المغني على مذهب الكوفيّين.

أمّا عند المفسرين والمشتغلين في علوم القرآن، فنجد الطبري (ت310هـ) قد وجّه عددا من الآيات الشريفة في تفسيره (جامع البيان) على أساس أسلوب التضمين. وقال الزمخشري (ت538هـ) بالتضمين في بعض من مواضع تفسيره الكشاف، لكنّه أعرض عنه في مواضع أخرى حين أمعن النظر في دقة المعنى.، كما أثنى على التضمين ابن عطية الأندلسي (ت546هـ) في تفسيره (المحرر الوجيز). أمّا الزركشي (ت794هـ)، فقد عرّفه بأنّه: " إعطاء الشّيء معنى الشّيء، وتارة يكون في الأسماء، وفي الأفعال، وفي الحروف"(5)، وهو بذلك عرّفه بمعناه الشامل لكل الأنواع. ويذهب السّيوطي (ت911هـ) إلى أنّ التّضمين يطلق على أشياء عدة أحدها " إيقاع لفظ موقع غيره؛ لتضمنه معناه"(6). أما الآلوسي (ت1270هـ) في روح المعاني، والطاهر بن عاشور (ت1394هـ) في التحرير والتنوير فقد اعتمدا على التضمين في كثير من المواضع.

وفي العصر الحديد، تجدّد الاختلاف حول الإقرار بالتّضمين من عدمه؛ فانقسم المُحدَثون إزاء ذلك إلى مؤيّد له، ومعارض. لكنّ مجمع اللغة العربية في القاهرة أقرّ ظاهرة التضمين عام (1934م) متمثلا في أعضائه الذين كانوا بين مؤيد، ومعارض لها، حيث عقد المجمع جلسة خصصت لهذه الظاهرة، " فقد تلا رئيس الجلسة الأستاذ محمد الخضر حسين بحثه في التضمين، إذ رأى أنّ للتضمين غرضا وقرينة وشرطا، فالغرض هو الإيجاز، والقرينة هي تعدّية الفعل بالحرف وهو فعل يتعدى بنفسه، أو تعديته بنفسه وهو يتعدى بالحرف، أما الشرط فهو وجود مناسبة بين الفعلين، ورأى أنّ للتضمين " صلة بقواعد الإعراب من جهة تعدي الفعل بنفسه أو تعدّيه بالحرف، وصلة بعلم البيان من جهة التصريف في معنى الفعل، وعدم الوقوف به عند حدّ ما وضع له، ومن هذه الناحية لم يكن كبقية قواعد علم النحو وقد يستوي في العمل بها خاصة الناس وعامتهم. فهو هنا قد بيّنَ صلة التضمين بعلمي النحو والبلاغة". (البدران، منتهى)

ز- تضمين الفعل المتعدي معنى الفعل اللاّزم في القرآن الكريم

الفعل المتعدّي عند النّحاة إمّا أن يتعدّى فاعلَه إلى مفعوله بنفسه مباشرة، أو بوساطة حرف الجرّ. والتّعدية في اللّغة هي التّجاوز، يقال: عدى فلان طوره أي جاوزه. وفي لسان العرب: "المتعدّي من الأفعال ما يجاوز صاحبه غيره"؛ إذ تقول العرب: عدا فلان أن صنع كذا، أي جاوز. والتّعدّي مجاوزة الشي إلى غيره. واصطلاحا هو: تجاوز الفعل فاعله إلى المفعول به، أو أكثر؛ وهو ما يصل إلى المفعول به بدون واسطة حرف الجر، ويسمّى متعدّيا بنفسه، وواقعا ومتجاوزا. وسمي هذا النّوع من الفعل بهذه المسمّيات لأنّه يتعدّى الفاعل إلى المفعول به، ويتجاوزه، ويقع عليه فعل الفاعل، مثل: قرأ الطالبُ الكتابَ.

أمّا الفعل اللاّم أو القاصر، فهو ذلك الفعل الذي يحتاج إلى واسطة لكي ينصب مفعولا به أو أكثر؛ كـــ "نوّمتُ الطّفل"، بالتّضعيف، وأصل الجملة: "نام الطّفل"؛ و "أخرجتُ التّلميذ"، وأصلها: خرج التّلميذ.

ولكن قد يدخل التّضمين الفعل المتعدّي، ليضمّنه معنى فعل لازم؛ فيتعدّى حينئذ بحرف الجر المناسب؛ وهو الجانب الذي يسلّط عليه هذا المقال الضوء للكشف عن شيء من خباياه في كتاب الله العزيز. هذا، وقد جاء تضمين الأفعال في القرآن بعدّة أنواع، منها تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بحرف جرّ لا يتعدّى به هذا الفعل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النجم 3، ففعل (نطق) يتعدى بحرف الجر (الباء) وجاءه متعدياً بحرف الجر (عن) ضمن معنى فعل (تحدث)، ومنها تضمين الفعل اللازم معنى الفعل المتعدي كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُم...﴾ هود 68، فالأصل في الفعل (كفروا) اللّزوم، لكنّه جاء في الآية مضمّنا معنى فعل (جحدوا) وعمل عمله بتعديه للمفعول؛ فنصب (ربَّ) مفعولا به، ومنها تضمين الفعل المتعدي معنى الفعل اللازم – وهو النّوع الذي سيتضح في هذا المقال- ، ومنها تضمين الفعل المتعدّي لمفعول معنى فعل متعدّ لمفعولين، كقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ...﴾ النّحل 75، عبدا ومثلا مفعولان لفعل (ضرب) وأصل فعل (ضرب) متعدّ لمفعول واحد، وجاء في الآية تضمين على معنى آخر وهو (جعل)، ومنها تضمين الفعل المتعدي لمفعولين معنى فعل متعدّ لمفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ﴾ الأنعام 1، فأصل فعل (جعل) متعدّ لمفعولين، لكنّه في الآية متعدّ لمفعول واحد يدلّ؛ ما يعني أنه تضمن معنى فعل آخر وهو خلق، وغيرها.

وهذا المقال يرتكز على تضمين الفعل المتعدّي معنى الفعل اللاّزم، وله أمثلة كثيرة في القرآن منها:

1- قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ **يُخَالِفُونَ** عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور 63.

فقد جاء فعل (يخالفون) متعدّيا بحرف جرّ (عن)؛ لتضمنه معنى الفعل اللازم (يخرجون، أو يعرضون) لتقارب في المعنى، وجاء فعل (خرج) في المعجم العربي متعديا بـــ (عن): خَرَجَ عَنْ طاعته: تَمَرَّدَ، خَرَجَ عَنِ السَّيرِ: انْحِرَاف، خَرَجَ عَنِ الإِجْمَاعِ أَيْ خَالَفَ رأيَ الجَمَاعَةِ (المعجم الغني)، وفعل (يعرض) أعرض عنه؛ وابتعد، وولّى، ومال عنه، وأعرض عن كل شيء لا يروقه: يتخلى، ينأى (المعجم الغني).

والضّمير في (أمره) عائد للّه سبحانه وتعالى، فإنّه الآمر له في الحقيقة، أو للرّسول فإنّه المقصود بالذّكر؛ ولذلك فُسّر مجيء (عن) هنا في قوله تعالى هي لتضمينها معنى (الإعراض)، أو جاءت للدلالة عن الفعل المحذوف وهو (الإعراض). وهكذا جاءت الآية الكريمة في أتمّ اختصار وإيجاز.

وأصل الفعل (خالف، يخالف) ينصب المفعول به بنفسه، والدليل على ذلك ما جاء في الحديث عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:((**خَالِفُوا الْيَهُودَ** فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا خِفَافِهِمْ)) رَوَاهُ أَبُو دَاوُد: 652، ففعل (خالف) متعدّ ينصب ما بعده على المفعولية.

2- قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ** نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا **تَعْدُ** عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾ الكهف 28.

﴿وَلَا **تَعْدُ** عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التّمتع بزينة الحياة الدّنيا...(التفسير الميسر، 2009: 297)، وجاء فعل (تعدو) في الآية متعدّيا بحرف جر (عن)؛ لتضمنه معنى (تصرف)، لتقارب معناه، وأصل فعل (عدا) ينصب ما بعده على المفعولية دون وساطة حرف، عدا يعدو عدوٌ : عَدَا فُلَاناً عَنِ الأَمْرِ عَدْواً (المعجم الوسيط، د.ت: 2/ 588)، كما استخدم في الحديث الشريف: ((عن عبد الله بن عباس، وقف النبي ﷺ على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن **تعدو أمرَ** الله...)) رواه البخاري: 4373.

3- قوله تعالى: ﴿**قَالَ** يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ **فَيَكِيدُوا** لَكَ كَيْدًا ... ﴾ يوسف 5

﴿**فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا** ...﴾ أي: ويحتالوا في إهلاكك (التفسير الميسر،2009 : 236)، الفعل المتعدي (كاد، يكيد) تضمن معنى الفعل اللازم (يحتال)، فأخذ حكمه، ولذلك عدّي إلى مفعوله بحرف الجرّ اللاّم، وأصل استعماله كما جاء في الحديث: ((عن سعد بن أبي وقاص سمعت النبي ﷺ يقول: لا **يكيدُ أهلَ** المدينةِ أحدٌ، إلا انماع الملحُ في الماءِ)) رواه البخاري: 1877، حيث تعدّى الفعل (يكيد) إلى ما بعده؛ فنصبه على مفعولية (أهل).

4- قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَتَوْا** عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾، الفرقان 40

أي ولقد كان مشركو مكة يمرون في أسفارهم على قرية قوم لوط، وهي قرية سدوم التي أُهلِكت بالحجارة من السماء...(التفسير الميسر،2009 :363)، جاء فعل (أتوا) في الآية على معنى (مروا) فهو لازم يتعدى بحرف جر (على)، وفعل (أتى) متعدٍّ بنفسه، وجاء كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ **أَتَتْكَ** آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ طه 126، ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ **فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ** مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ **فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ** الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ النحل 26، وجاء استعماله متعدّيا بنفسه في الحديث الشريف: ((كان ابن عباس يقعدني على سريره، فقال لي: إنّ وفد عبد القيس لما **أتوا رسولَ** الله ﷺ قال: من الوفد؟، قالوا: ربيعة...)) رواه البخاري: 7266.

5- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ...﴾ هود 41

أصل فعل (ركب) متعدٍّ بنفسه كما استعمل في الحديث عن أنس بن مالك: ((صَلَّى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الظُّهْرَ بالمَدِينَةِ أرْبَعًا، والعَصْرَ بذِي الحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ [وفي روايةٍ]: ثُمَّ بَاتَ حتَّى أصْبَحَ، فَصَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ **رَكِبَ رَاحِلَتَهُ**، حتَّى إذَا اسْتَوَتْ به البَيْدَاءُ أهَلَّ بعُمْرَةٍ وحَجَّةٍ.)) رواه البخاري: 1715، وعن جابر بن عبد الله: ((... فَصَلَّى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ في المَسْجِدِ، ثُمَّ **رَكِبَ القَصْوَاءَ**...)) رواه مسلم:

1218، وفي الآية الأخرى قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الانشقاق 19، أما في الآية فجاء متعديّا بحرف جر (في) ضمن معنى فعل (دخل).

6- قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ **جَحَدُوا** بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ هود 59

أي: وتلك عاد كفروا بآيات الله وعصَوا رسله... (التفسير الميسر، 2009: 228)، فعل (جحد) متعد ينصب ما بعده على المفعولية دون وساطة حرف، كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها: ((كَانَتِ امْرَأَةٌ مَخْزُومِيَّةٌ تَسْتَعِيرُ المَتَاعَ **وَتَجْحَدُهُ**، فأمَرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أَنْ تُقْطَعَ يَدُهَا)) رواه المسلم :1688، الضمير (ه) مفعول به لفعل (جحد)، وعن ابن عباس: ((مَنْ **جَحَدَ آيَةً** مِنَ القرْآنِ ، فقَدْ حلَّ ضربُ عنقِهِ)) ابن ماجه: 501، و (آيةً) مفعول به، أما في الآية فجاء متعدّيا بالباء ضمن معنى فعل (كفروا).

7- قوله تعالى: ﴿...**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**...﴾ الأحقاب 15

جاء (أصلح) ضمن معنى فعل (بارك) متعدٍّ بحرف جر (اللام)، والأصل استعمال فعل (أصلح)، ومن ذلك ما جاء في الحديث: ((منْ أحسنَ فيما بينهُ و بينَ اللهِ، كفاهُ اللهُ ما بينهُ و بينَ الناسِ، ومنْ **أصلحَ** سريرتَهُ **أصلحَ** اللهُ علانيته)) السيوطي: 8320، فعل (أصلح) ينصب (سريرةَ) و (علانيةَ)، وقوله تعالى: ﴿ ...فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الأنفال 1، كلمة (ذاتَ) مفعول به لفعل (أصلح).

الخاتمة

التّضمين ظاهرة لغويّة اختلف النّحاة واللّغويّون قديما وحديثا في الإقرار بها أو ردّها؛ ولكلا الفريقين حججهم وأدلّتهم فيما ذهبا إليه. ولكن ترجحت لدى كاتبة هذه السّطور حجة القائلين بجريان التّضمين في اللّغة العربيّة؛ وذلك بعد الاطّلاع على حجج الفريقين، والتّأمّل في تعليل الشّواهد مظانّ التّضمين. وهكذا يظهر من الآيات السّالفة الذكر أن الفعل المتعدّي قد يتضمن معنى فعل لازم، فتكون تعديته حينئذ بوساطة حرف جرّ مناسب لذلك الفعل المضمّن؛ وشواهده في القرآن الكريم يعزّ على الحصر في مقال بهذا الحجم المتواضع. وإنّما هذه الشّواهد المُساقة في ثنايا المقال نزر يسير للتمثيل؛ جريا على قولهم بالمثال يتّضح المقال. وفيما يأتي أهمّ ما توصل إليه من نتائج:

التّضمين النّحوي مظهر من مظاهر ثراء اللّغة العربيّة في أساليبها وبيانها السّاحر، فبه تجسّد اللّغة معاني أخاذة في أساليب متنوّعة تبعث في نفس المتلقي الجمال والانشراح.

التّضمين النّحوي، أشكال وأنواع. وهذه الأشكال تتكاتف وتتضافر في سبيل خدمة البيان العربيّ وتكريس جانب الثراء فيه.

تضمين الفعل المتعدّي معنى الفعل اللاّزم من الكثرة والشيوع في أسلوب القرآن الكريم، بما يبرز أهمّية هذا الأسلوب وأصالته.

الاعتناء بدراسة التّضمين في مختلف أشكاله يُنمّي كفاءة المرء في تذوق أساليب العرب على مستوى المبنى والمعنى.

التّضمين يمنح الفعل أو مشتقه معنى فوق معناه، كأنّه يرسل في العبارة توهّجا من طاقته؛ فيمنحها قوّة تعلو باللّغة سموا.

التّضمين باب رائع ودقيق من أبواب البيان القرآنيّ القائم على التّوسّع في المعاني وبلاغة النّظم والتّعبير باللّفظ اليسير عن المعنى الكبير.

المصادر والمراجع

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني،2003م، الخصائص، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دارالكتب العلمية: بيروت، ط2

ابن منظور، محمدبن مكرم. 1414 ه ، لسان العرب. دارالصادر: بيروت، ط3.

إسماعيل بن حماد الجوهري، 1990م، الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية —، دار العلم للملايين، بيروت،ط4.

الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، 1408ه، ضعيف سنن ابن ماجه، المحقق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي: بيروت

البخاري، 2007م، صحيح البخاري، دار ابن كثير: لبنان، بيروت

عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، موقع معاجم صخر.

الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ،1407ه، القاموس المحيط،مؤسسة الرسالة ودار الريان: بيروت

المسلم، 2010م، صحيح المسلم، دار الكتب العلمية: لبنان، بيروت

سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، 1389ه، سنن أبي داود، المحقق / المترجم: عزت عبيد الدعاس، دار الكتب

العلمية: بيروت.

سيبويه ، أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر، 2008م، الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجبل:

بيروت

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، د.ت، الجامع الصغير ، دار الكتب العلمية: بيروت

عباس حسن ، د.ت، النحو الوافي، دار المعارف: مصر. ط4.

عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، موقع معاجم صحخر.

مجمع اللغة العربية، د.ت، المعجم الوسيط، دار الدعوة، مؤسسة ثقافية للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع: استنبول،

تركية

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2009م، التفسير الميسر، المدينة المنورة، ط2